الملخص

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على أكرم مبعوث وأعرب من نطق بالبيان، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته وسلَّم تسليماً كثيراً . أما بعدُ ...فقد أدهش القرآن الكريم العربَ في زمن عُرفوا فيه باللَّسَن والفصاحة وقوة العارضة في الإعراب عما في النفوس والإبانة عن مشاعر القلوب، وسمو البيان، فحيّر عقولهم وشدَّها بسحر بيانه وروعة معانيه فآمن منهم من آمن وكفر منهم من كفر .أما المؤمنون فنُدبوا إلى تلاوته وتعقل معانيه وتدبر أغراضه ومراميه ليهتدوا ببصائره ويستضيئوا بأنواره في الحياة .وأما الجاحدون فقد خيلت لهم افهامهم أنَّ في نظمه فساداً وفي معانيه تناقضاً، فسددوا إليه المطاعن ونفوا عنه صفة الإعجاز فاتخذوا من الآيات المتشابهات ذريعةً وصفوا القرآن من خلالها بنقيصة التكرار والحشو المخُل .لذاهبّ النابهون من أبناء هذه الأمة يدرؤون عنه وينافحون دونه فشرعوا أقلامهم لتبين مفترياتهم والرد عليها .وبذلك ظهر لون جديد من ألوان التفسير يقوم على توجيه الآيات المتشابهات، تطلباً لعلامات ترفع لبس إشكالها، وإظهارا للنكت واللطائف البيانية التي تكمن وراء هذا الاختلاف .ومن هنا جاءت دراستي(الفروق النحوية بين الإضمار والإظهار في آيات المتشابه اللفظي) تتمةً لجهود من سبقي في هذا المضمار وخطوةً من خطى التفسير البياني الذي تأصلت أصوله في الدراسات الحديثة . ولم تكن أسباب الإضمار والإظهار لتسلك سبيلاً واحدة، بل جاءت متباينة بين التعظيم والتحقير، والتنبيه على علة الحكم، والتنبيه على عظمة الأمر، والتناسب اللفظي والمعنوي، وغير ذلك، لذا اقتضت طبيعة البحث أن تُعقد في مبحثين، تتقدمهما مقدمة، وتتبعهما خاتمة بأهم النتائج . تناولت في الأول منهما الإضمار والإظهار في المسند إليه، وانضوت تحته ثلاثة مطالب، الأول في الإضمار والإظهار في (المبتدأ) والثاني في (اسم إن) والثالث في (الفاعل) أما المبحث الثاني، فتناولت فيه الإضمار والإظهار في الفضلات، وكان في ثلاثة مطالب أيضاً، الأول منها كان في الإضمار والإظهار في (المفعول به)، والثاني في (الاسم المجرور الثالث في الإضافة) .ثم ختمت الدراسة بأبرز النتائج التي توصلت إليها .وبعد ذلك لا يسعني إلاّ أن أحمدَ الله الذي وفق وأعان ومنح الصبر والاستمرار في هذا الجهد حتى نهايته، رغم الصعوبات التي اعترضت مسيرته ولاسيما صعوبة سبر أغوار النص القرآني، فهماً وتحليلاً واستنتاجاً .واسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والإخلاص في القول والعمل، وأن يغفرَ لي ما زلَّ به اللسان والقلم، هو حسبي نعم الوكيل، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

Abstract

Research Summary Praise be to Allah, Lord of El Alamein, and prayers and peace be upon Akram envoy expressed the pronunciation of the statement, the Prophet Muhammad (peace be upon him) and his family

and his companions peace and recognition of a lot. After ... Koran has surprised the Arabs in the holy time and knew where Ballsn eloquence and power to express what the crossbar in the souls and hearts designation feelings, and His Highness the statement, Vake their minds and tighten the charm and splendor of his sense of them believed in a safe and Kafr them from Kafr. The believers Vndboa to read and prudence meaning and manage its purposes and objectives of Bbesairh and guided by Astadhaioa Bonoarh in life. The Gahdon Khalt them have them understand that in organized havoc in the sense a contradiction, Vsddoa slanders against him and denied him the miracle recipe and they took the verses of similarities pretext described the Koran in which the vice of repetition and padding crowbar. Nabhon going to the sons of this nation Adraon with him and without him Anavhon They began their pens to show Mfteryatem and respond to them. Thus emerged a new color from the color interpretation is based on the guiding verses similarities, demanding to raise the unmistakable signs of forms and manifestation of graphic jokes and subtleties that underlie this difference. Hence my studies (grammatical differences between Aladmar and Manifesting in verses like-verbal), the sequel to the efforts of Sbaka in this area and move the footsteps of chart interpretation, which originated assets in recent studies. Reasons Aladmar and Manifesting was not to walk way one, but came differentiated between glorification and degradation, and alarm bug governance, and alarm to the greatness of it, and proportionality verbal and moral, and so on, so necessitated the nature of research to be held in two sections, Taatkdmanma introduction, Taatbahma conclusion of the most important results. I dealt with in the first two Aladmar and Manifesting in ascribed to it, and flocked beneath three demands, first in Aladmar and Manifesting in (Debutante) and in the second (the name) and in the third (actor). The second section, which grabbed a Aladmar and Manifesting in craps, and was also in the three demands, the first of which was in Aladmar and Manifesting in (the object), and the second in (the sewer name) and in the third (the addendum). The study then concluded the most prominent findings. And then I can only thank God that according to aided and grant patience and continue this effort until the end, despite the difficulties encountered in his career, especially difficult to fathom the Quranic text, understanding and analysis and conclusion. And I ask God Almighty to reconcile and sincerity in speech and action, and forgive me what Zell its tongue and pen, is yes Suffice agent, and Praise be to Allah, the Lord of the Worlds

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين، الذي أُنزل عليه القرآن هدىً ورحمةً للمؤمنين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

أما بعدُ .....

فالقرآن الكريم هو كلام الله المعجز للخلق في نظمه وأسلوبه، وفي علومه وحكمه، وفي ميدان تأثيره في النفس البشرية وهدايته لها، وفي كشف الحُجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، بل في كل باب من أبوابه فصلٌ للإعجاز، وفي كل فصلٍ فروعٌ ترجع إلى أصولٍ ؛ لذلك توالت الدراسات ميادين إعجاز القرآن الكريم، فجهد دارسو إعجازه في الكشف عن وجوه الإعجـــــاز المختلفة "وغاصوا في لجج ليس لها قعرٌ، وكلٌ عاد بلؤلؤة كريمة أو عقد نظيم، وبقيت ثمة خزائن تفوق الحصر، لم يلجها الوالجون وكنوز لا يطيقها إحصاء، لم تمتد إليها الأيدي، تُفنى الدنيا ولا تفنى ويبلى كل جديد ولا تبلى، فيها من عجائب صنع الله ما لو اطلعت عليه لم تعرف كيف تصنع ولاستبد بك عجبٌ لا ينتهي وتمكن منك انبهار لا ينقضي، ومفتاح ذلك تدبره والنظر فيه"[١]؛ لذا حاولت أن أقفو أثر من سبقني في هذا الميدان، عسى أن أعود بلؤلؤة كريمة من وجوه إعجازه، أو عقد نظيم، أنتفع به يومَ لاينفع لامالٌ ولابنون .

ومن هنا جاءت دراستي: **(الفروق النحوية بين الإظهار والإضمار في آيات المتشابه اللفظي)** تتمةً لجهود من سبقني في هذا المضمار وخطوةً من خطى التفسير البياني الذي تأصلت أصوله في الدراسات الحديثة.

ولم تكن أسباب الإظهار والإضمار لتسلك سبيلاً واحدة، بل جاءت متباينة بين التعظيم والتحقير، والتنبيه على علة الحكم، والتنبيه على عظمة الأمر، والتناسب اللفظي والمعنوي، وغير ذلك، لذا اقتضت طبيعة البحث أن تُعقد في مبحثين، تتقدمهما مقدمة، وتتبعهما خاتمة بأهم النتائج.

تناولت في الأول منهما الإظهار والإضمار في المسند إليه، وانضوت تحته ثلاثة مطالب، الأول في الإظهار والإضمار في (المبتدأ) والثاني في (اسم إن) والثالث في (الفاعل) .

أما المبحث الثاني، فتناولت فيه الإظهار والإضمار في الفضلات، وكان في ثلاثة مطالب أيضاً، الأول منها كان في الإظهار والإضمار في (المفعول به)، والثاني في (الاسم المجرور) والثالث في (الإضافة) .

ثم ختمت الدراسة بأبرز النتائج التي توصلت إليها.

وبعد ذلك لا يسعني إلاّ أن أحمدَ الله الذي وفق وأعان ومنح الصبر والاستمرار في هذا الجهد حتى نهايته، رغم الصعوبات التي اعترضت مسيرته ولاسيما صعوبة سبر أغوار النص القرآني، فهماً وتحليلاً واستنتاجاً.

واسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والإخلاص في القول والعمل، وأن يغفرَ لي ما زلَّ به اللسان والقلم، هو حسبي نعم الوكيل، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول: الإظهار والإضمار في المسند إليه

المطلب الأول: الإظهار والإضمار في المسند إليه (المبتدأ)

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الجاثية: ١٢] (٢).

اختلفت التعبيرات في المسند إليه (المبتدأ) إضماراً وإظهاراً فجاء في آية (النحل) مضمراً، في حين أنه جاء في آية (الجاثية) مظهراً.

إن سبب الإضمار في آية (النحل) هو أن المسند إليه (المبتدأ) جاء في سياق آيات اشتملت على ذكر اسم الله تعالى مضمراً، وهي قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ [النحل: ٢]، فالذكر جاء مضمراً تقديره (هو)، وقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾، فالذكر في (يشاء) مضمرٌ تقديره (هو) وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [النحل: ٣]، فالذكر في (خلق) مضمرٌ تقديره (هو)، وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [النحل: ٤]، فالذكر في (خلقها) مضمرٌ تقديره (هو)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل: ٨]، فالذكر في (يخلق) مضمرٌ تقديره (هو)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النحل: ٩]، فالذكر في (شاء) مضمرٌ تقديره (هو)، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ [النحل: ١٠]، فالذكر في بداية الآية مضمر كما هو ظاهر، كذلك الذكر في (انزل) مضمرٌ تقديره (هو)، وقوله تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ ﴾ [النحل: ١١]، فالذكر في (ينبت) مضمرٌ تقديره (هو) وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ ﴾ [النحل: ١٢]، فالذكر في (سخر) مضمر تقديره (هو) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ ﴾ [النحل: ١٣]، فالذكر في (ذرأ) مضمرٌ تقديره (هو) لذلك نجد أن المسند إليه جاء مضمراً في سياق الضمائر التي سبقته.

أما آية (الجاثية) فان سبب الإظهار –والله أعلم–أن المسند إليه جاء في سياق آيات اشتملت على ذكر الله تعالى صريحاً ومظهراً، قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجاثية: ٢]، فالذكر هنا جاء صريحاً، كذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الجاثية: ٥]، فالذكر فيه صريح، كذلك قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦]، فالذكر جاء صريحاً مظهراً مرتين كما هو ظاهر، وقوله تعالى: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية: ٨]، فالذكر هنا صريح أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية:١٠] فالذكر صريح ظاهر، كذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ [الجاثية: ١١]، فالذكر صريح أيضاً، أما ما ورد من الذكر مضمراً في الآيات التي سبقت إليه الجاثية هذه فإنه لا يكاد يتجاوز، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ﴾ [الجاثية: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الجاثية: ٥]، لذلك جاء الذكر في آية (الجاثية) مظهراً صريحاً، فالإضمار في سياق الإضمار أولى والإظهار في سياق والإظهار أولى، فجاء كل على ما يناسب... والله اعلم بالصواب.

كذلك من أمثلة الإظهار والإضمار في المسند إليه (المبتدأ) قوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [هود: ١٢]، وقوله تعالى﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام : ١٠٢]، [الزمر: ٦٢]

اختلفت الآيات – كما هو ظاهر – في المسند إليه إظهاراً وإضماراً، فجاء في آية (هود) مُظهراً ، في حين أنه جاء مُضمراً في آيتي (الأنعام والزمر).

والسرُّ في ذلك – والله أعلم – أن الاسم الكريم في آية (هود) لم يُسبق بذكر لفظ مماثل له، قال تعالى﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [هود :١٠ – ١٢]، فلما لم يُصرَّح باسمه تبارك وتعالى قبل ذلك وجب التصريحُ باسمه (الله)؛ لأن الاسم لا يُضمر إلاّ وقد عُرِّف من قبل، لذلك لا تشترك فيه أكثر من دلالة لتعينه بما يعود إليه [٣]، فلو أُضمر لم يُعلم على ماذا يعود، لذلك صُرِّح باسمه تبارك وتعالى .

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن قوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٢﴾ ﴾ قد سُبق بقوله ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ ﴾، ولو أُضمر لظن متوهمٌ أن الضمير هنا سيعود على أحد الأسماء المتقدمة، وذلك كله غير مراد، لذلك أُظهر ولم يُضمر .

أما آيتا (الأنعام والزمر) فإن قوله تعالى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ قد سُبق بما يصحُّ أن يعود عليه ذلك الضمير، وهو اسمه الصريح سبحانه وتعالى .

قال تعالى في آية (الأنعام):﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٢]، فلما ذُكر اسمه سبحانه وتعالى في الآية صريحاً جاز إضماره بعد ذكره ثانية، وذلك لصحة عود الضمير على الاسم المتقدم قبله .

كذلك الحال في آية (الزمر)، قال تعالى :﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر : ٦٢]، فورودُ اسمه تبارك وتعالى صريحاً في بداية الآية جوَّز إضماره عند ذكره ثانية، وليس فيه دلالةٌ على غير المصرّح به وهو الاسم الكريم قبله، والله أعلم وأحكم .

المطلب الثاني: الإظهار والإضمار في المسند إليه (اسم إن)

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٧، الحشر: ١١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: ١]...[٤].

اختلفت الآيات المباركة بالمسند إليه وهو اسم (إن) ذلك أنه ورد في آيتي (التوبة والحشر) مضمراً، أما في آية (المنافقون) فورد مظهراً.

ذكر الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه (البرهان) أسباب الخروج عن الأصل وهو (مجيء الاسم الظاهر في موقع المضمر)، أوصلها إلى سبعة عشر سبباً [٥]، ومن هذه الأسباب: التنبيه على علة الحكم، ومن الأمثلة التي ضربها لذلك قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ٨٩]، فقال "والأصل (عليهم) للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم"[٦]، يريد بذلك التنبيه على الكفر لكونه سبباً للعنة عليهم.

وهذا الأمر قد تنبه إليه أبو السعود(ت٩٥١هـ) في معرض تفسيره لقوله تعالى﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون:١]، فأشار إلى علة الحكم فقال "أي والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوه بمقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب، والإظهار في موقع الإضمار لذمهم والإشعار بعلة

الحكم"[٧]، يريد بذلك التنبيه على الكذب لكونه علةً للنفاق الذي اتصفوا به، وأن النفاق لحقهم بسبب كذبهم على رسول الله عندما شهدوا برسالته (ﷺ).

إلى جانب ذلك كله يمكن أن تستشعر سبباً آخر وهو: التنبيه على عظمة الأمر، وهذا هو أيضاً من أسباب وضع الظاهر موضع المضمر[٨]، ذلك أن المنافقين عندما جاءوا رسول الله (ﷺ) شهدوا له بالرسالة وأظهروا من أنفسهم التصديق برسالته، وتملقوا وبالغوا في التملق وهم يضمرون خلاف ذلك، وأكدوا ذلك كله باللام في قوله تعال (لرسول الله)[٩]، فأظهر الله سبحانه وتعالى نفاقهم وكذبهم على الرسول (ﷺ) بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾، وأكد كذبهم باللام المزحلقة في خبر (إن)، ثم أظهر اسمهم المسند إليه وهو اسم (إن) تنبيهاً على عظمة الأمور التي قاموا بها وهي:

١- شهادتهم برسالة النبي محمد (ﷺ) نفاقاً، وهي شهادة لسان لا شهادة اعتقاد، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

٢- حلفهم الكاذب على الناس لُيصدَّقوا فيما قالوا، إذ كانوا يفعلون ذلك تقيةً، أي يتقون به القتل[١٠]، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٢] .

٣- رجوعهم عن الحق إلى الباطل، واستبدالهم لهِ الكفر بالإيمان والضلالة بالهدى، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

٤- الاستكبار الموغل في الإفراط، وذلك بأنهم لم يستكبروا على رسول الله (ﷺ) وأصحابه فقط بل استكبروا على رحمة تعالى فمُنعت عنهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المنافقون: ٥-٦].

فهذه الأمور وغيرها استدعت إظهار اسم المنافقين في الآية الكريمة تنبيهاً على عظمة نفاقهم وكذبهم. والله أعلم بالصواب.

كذلك من الآيات التي اختلفت في المسند إليه (اسم إن)، قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٣]، وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام : ١٣٩]، [الحجر: ٢٥] .

اختلفت الآيات –كما هو ظاهر – في اسم إن إضماراً وإظهاراً، إذ ورد ظاهراً (صريحاً) في آية (الأنعام) الأولى، في حين أنه ورد مضمراً في آية (الأنعام) الثانية وآية (الحجر) .

والسرُّ في ذلك – والله أعلم – هو إن آية (الأنعام:) الأولى ورد فيها ذكرُ إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٣] ومعلوم أن الضمير لا يُذكر إلاّ وقد عُرِّف قبل ذكره، لذلك لو لم يُذكر لفظ (ربك) صريحا وورد مضمراً لاختلفت دلالته، لأنه حينئذٍ ستحتمل عودته على لفظ إبراهيم (عليه السلام)، وذلك غير مراد، لأن الضمير لا تشترك فيه أكثر من دلالة وذلك لتعينه بما يعود إليه [١١] .

ولو أُضمر لجاز أن يعود على الخالق سبحانه وتعالى، وعلى إبراهيم (عليه السلام)، لذلك جاء صريحاً لتنتفي عنه تلك الاحتمالية .

أما آية (الأنعام) الثانية فإن اسم (إن) فيها ورد مضمراً لكونه عائداً على متقدم قبله، وهو الفاعل في قوله تعالى ﴿ سَيَجْزِيهِمْ ﴾، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، ومعلوم ان الله سبحانه وتعالى هو أهل الجزاء يوم الحساب، إلاّ أن اسم سبحانه وتعالى ورد مضمراً لفخامة شأنه، ومعلوم أن من أسباب العدول إلى الضمير " الفخامة بشأن صاحبه، حيث يُجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته " [١٢]، وهنا ذُكرت صفة الجزاء اكتفاءً عن التصريح باسم صاحب الجزاء.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن المُفَسَّر كثيراً ما يدل عليه العلمُ به، وإن لم يتقدم له ذكر، كقوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر:١]، يعني القرآن[١٣]، كذا الحال مع الضمير العائد على الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى ﴿ سَيَجْزِيهِمْ ﴾ فإن تفسيره لا إشكال فيه، لكونه معلوماً لكل قاصٍ ودانٍ ، لأن كلَّ مخلوقاته سبحانه وتعالى تعلم أنه هو صاحب الجزاء، لذلك أُضمر اسمه للعلم به و ولما صار معلوماً ومشهوراً صار كالظاهر، لذلك عاد عليه الضمير في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام : ١٣٩]، والضمير –كما هو معلوم – لا يُضمر إلاَّ وقد عُرِّف، والضمير الأول معروف لشهرته وللعلم به، لذلك لما ذُكر ثانية أُضمر لكونه عُرِّف أولاً .

أما آية (الحجر) ففيها لفظ (ربك) صريحاً،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٢٥ ﴾ [الحجر : ٢٥]، فلما ذُكر اسمه ثانية، أُضمر لكونه عائداً على متقدم مذكور قبله، وهذا معلوم لأن الأصل في الضمير أن يعود على الاسم المتقدم [١٤]، لذا عاد الضمير الذي هو اسم (إن) على قوله تعالى﴿ رَبَّكَ ﴾ لكونه مصرحاً به .

المطب الثالث: الإظهار والإضمار في المسند إليه (الفاعل)

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ ﴾ [آل عمران: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ ﴾ [مريم: ٨]...[١٥].

إن ما نالَ عناية العلماء ممن صنَّف في توجيه المتشابه اللفظي في هاتين الآيتين هو قضيةُ التقديم والتأخير، أعني بذلك تقديم ذكر الكبر على ذكر المرأة في سورة (آل عمران) وتأخيره عنها في سورة (مريم)، فذهبوا إلى أن ذلك التقديم والتأخير تم مراعاة للفاصلة القرآنية، اعني بذلك لتناسب رؤوس الآي في سورة (مريم) وهو قوله تعالى (خفيا–شقيا–عتيا)[١٦].

ومع أهمية ما نبهوا عليه، إلاّ أنهم تركوا الجانب الأهم في الآيتين وهو قضية الإسناد، أعني بذلك إسناد الفعل إلى الاسم الظاهر (الكبر) في سورة (آل عمران) وإسناده إلى الضمير (تاء المتكلم) في سورة (مريم).

يرى بعض العلماء الذين تعرضوا لتفسير الآيتين أنه لا اختلاف بين لآيتين وأن المعنى متحد، وأن قولك: بلغك الشيء كقولك بلغت الشيء، قال الطبري "وقيل بلغني الكبر وقد قال في موضع آخر وقد بلغت من الكبر لأن ما بلغك فقد بلغته"[١٧]، وإلى ذلك ذهب عددٌ من المفسرين واللغويين كالزجاج[١٨]، والنحاس[١٩]، والبغوي[٢٠]، والرازي[٢١]، والآلوسي[٢٢].

والذي يبدو لي أن الاستعمالين مختلفان، وذلك لأن الناظر المستقرئ لآيات القرآن الكريم يدرك شيئاً يكاد يكون معهوداً في القرآن، وهو أن(الكبر) جاء بصيغة المسند إليه، وأن الأفعال غالباً ما تسند إليه في القرآن الكريم، ويبدو أن السر في ذلك– والله أعلم– أن (الكبر) أمارة من أمارات الموت وسبباً موصلاً إليه، ومن ثَم فإن الإنسان لا يكون طالباً له، بل على العكس من ذلك فإن الإنسان مهما حاد عنه فإنه سيدركه، عندئذٍ سيكون المرء واهناً ضعيفاً لا يقدر على شيء، لذلك أنت لا تسعى في بلوغ الكبر؛ لأنه أمر غير مرغوب فيه، لذلك أسندت الأفعال إلى الكبر في أغلب نصوص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٦٦]،

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ [آل عمران: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر: ٥٤].

أما إسناد الفعل إلى الضمير (التاء) في سورة (مريم) فكان بسبب التفصيل في مراحل الكبر، وذلك أَنه لم يأت مجملاً كما هي الحال في سورة (آل عمران) بل جاء مشتملاً على مجموعة من العلامات والإمارات، كوهن العظم وشيب الرأس، وبالتالي الوصول إلى مرحلة من مراحل الهرم وهي مرحلة العتو، وهي حالة–كما قال الراغب(ت في حدود ٤٢٥هـ) "لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها"[٢٣]، وذلك لأن للشيخوخة والكبر مراحلَ يبلغها الإنسان، قال الثعالبي "يقال: عتا الشيخ وعسا ثم تسعسع وتقوس ثم هَرم وخرف ثم أفند واهتر ثم لعق أصبعه وضحا ظلّه إذا مات"[٢٤]، وهناكَ قراءة شاذةَ وهي قراءة (عسيا)[٢٥]، وان كانَ العلماء لا يجيزون القراءة بها لكونها مخالفة لخط المصحف، إلاّ إنها تفسر لنا مرحلة (العتو) وهي مرحلة اليبس والقحول[٢٦]، قال الراغب "عَسِيَ الشيءَ يعسو، إذا صَلُب"[٢٧]، ويدلك على صحة ذلك، ورود (من) في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٨]، دالة على التبعيض[٢٨]، أي بلغت مرحلة العتو من مراحل الكبر، فكأن الزمان طريق والأحداث تتساوق فيه وأنت تمر بمراحلهِ كلهَّا، فإذا انتهيت إلى أقصى المرحلة فقد بلغتها، لأن البلوغ في أصله هو "الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً كان أو زمانا..."[٢٩]، ومن أجل ذلك كلهِ جيء بالفعل مسنداً إلى ضمير المتكلم (التاء).

وهذه الدقة في الآية تتناسب كلياً مع قوله تعالى: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ [مريم: ٨]، والمفسرون يقولون أن نبي الله زكريا قصد أنها كانت عاقراً في شبابها، فكيف تلد وهي الآن عجوز[٣٠].

فإذا كان هو سائرٌ على في طريق الكبر وهي مع كونها عاقراً فإنها أيضاً سائرةٌ معه في الطريق نفسه، وبالتالي يقع الإعجاز الرباني، وهو حالة الإنجاب من أناس قد بلغوا مبلغاً من الكبر، وذلك لكي يستقر في نفوس منكري البعث والنشور أن الله على كل شيء قدير وأنه يبعث من في القبور... والله أعلم بالصواب.

ومن أمثلة الإظهار والإضمار في المسند إليه (الفاعل) قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ [الأعراف: ١٨٧، النازعات :٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ [الأحزاب: ٦٣]...[٣١].

اختلف التعبيرات بالمسند إليه (الفاعل) إضماراً وإظهاراً إذ ورد في آيتي (الأعراف والنازعات)، مضمراً مُعَّبراً عنه بواو الجماعة، في حين أنه ورد في آية (الأحزاب) مظهراً.

يبدو لي أن سبب الإضمار في سورتي (الأعراف والنازعات) هو التقليل من شأن هؤلاء القوم الذين سألوا رسول الله (ﷺ) عن الساعة امتحاناً له وإنكارا لدينه، إذ يرى العلماء أن (الواو) في قوله تعالى (يسألونك) تعود على قوم من اليهود، قال الواحدي النيسابوري(ت٤٦٨هـ) "وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾، قال ابن عباس: قال جبل بن أبي قشير وشموال بن زيد من اليهود: يا محمد أخبرنا متى الساعة إنْ كنت نبياً؟ فإنا نعلم متى هي، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٣٢]، وقيل نزلت في منكري البعث من عتاة قريش، إذ ذُكر أن قريشاً قالت لرسول الله (ﷺ) "إن بيننا وبينك قرابة فأسرّ إلينا متى تكون الساعة؟ فانزل الله تعالى يسألونك عن الساعة"[٣٣].

كذلك الحال بالنسبة لآية (النازعات) فإن الضمير (الواو) في قوله تعالى (يسألونك) يعود على قوم من قريش "كانوا يلحون في البحث عن وقت الساعة إذ كان يتوعدهم بها ويكثر من ذلك فنزلت هذه الآية"[٣٤].

وبذلك نعلم دلالة المسند إليه (الفاعل) في قوله تعالى (يسألونك) على قوم معروفين سواء أكانوا من اليهود أم من قريش، فأخبر الخالق تبارك وتعالى (اسمهم) تحقيراً لهم وتقليلاً من شأنهم، وذلك لأن الدلالة على التحقير سبب من أسباب الإضمار[٣٥].

أما آية (الأحزاب) فيبدو أن قوله تعالى (الناس) جاء عاماً يشمل كلَّ من سأل رسول الله (ﷺ) عن الساعة–وإنْ كان هناك من المفسرين من يراها تشمل قوماً من قريش أو من اليهود[٣٦]، فلفظ (الناس) عام لا يشمل أحداً بعينه، بل هو اسم جامع لكل من سأل الرسول الكريم عن الساعة، ذلك جيء بالمسند إليه (الفاعل) ظاهراً قصداً للعموم،أي لعموم من سأل عن الساعة، إذ إنَّ التنبيه على قصد العموم سببٌ من أسباب العدول إلى الظاهر[٣٧] .

فسؤال اليهود عن الساعة سؤال إنكاري، امتحاناً للرسول الكريم وإنكاراً لدينه، أما سؤال غيرهم فهو على حقيقته؛ لذلك فإن الإخبار لم يكن متساوياً، فكان بأسلوب الإضمار تقليلاً من شأن اليهود الذين أرادوا امتحان الرسول وإحراجه؛ لأن الدلالة على التحقير– كما ذكرنا– سبب من أسباب الإضمار، أما سؤال غيرهم فكان على حقيقته؛ لذلك خرج الإخبار عنه على الإظهار تعريفاً بهم، قصداً لعموم من سأل الرسول عن الساعة .

فالإضمار جاء تحقيراً لهم بسبب كونهم معروفين، أما الإظهار فجاء قصداً للعموم لكونهم غير معروفين والله أعلم .

كذلك من الآيات التي اختلفت في المسند إليه (الفاعل) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ [الفرقان: ٤١]...[٣٨].

إن هاتين الآيتين لم تكونا بمنأى عن العلماء الذين كتبوا في توجيه المتشابه اللفظي، بل كانت لهم وقفه عند قضية الإظهار والإضمار في المسند إليه (الفاعل) وكيف أنه ظهر في آية (الأنبياء) واضمر في آية الفرقان، وعللوا سبب الإظهار في آية (الأنبياء) بأن ذِكرَ الكفار لم يرد في الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، لذلك جاء التصريح بالإظهار، أما آية (الفرقان) فإن ذكرهم قد تقدم في أقرب الكلام إلى هذه الآية، وهي الآية التي قبلها في قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ﴾ [الفرقان: ٤٠]، لذلك كان الاختيار الإضمار، قال الاسكافي(ت٤٢٠هـ) : " والجواب أن يقال: إن ما قبل الآية في سورة الأنبياء: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فلم يجر للكفار ذكر في الآية التي قبلها هذه، فكان الاختيار الإظهار وأما في سورة الفرقان فإن قبل الآية: ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٠]، أي الم ير الكفار في زمانك القرية التي أمطرت مطر السوء فيحذروا، فلما كان الذكر متقدماً في أقرب الكلام إليها كان الاختيار الإضمار"[٣٩].

وفي حقيقة الأمر إن هذا التوجيه بحاجة إلى شيء من الإيضاح؛ وذلك لأن آية (الأنبياء) كما تبدو استئنافية ولم تعطف على ما قبلها، إذ لا علاقة بينهما، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥-٣٦]، والجملة إذا جاءت في سياق الاستئناف استوجب إظهار الفاعل لكونه غير معلوم للمخاطب؛ لذلك جيء به مظهراً، أما آية (الفرقان) فكما تبدو جاءت معطوفة على ما قبلها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ [الفرقان: ٤٠-٤١]، فكما تبدو أنها جمل حالية تدل على حال الكفار المعاصرين للرسول (ﷺ)، والفاعل ذكر أولاً في قوله تعالى (ولقد أتوا) فصار معلوماً للمخاطب؛ لذلك لم تكن هنا حاجة إلى إظهاره.

المبحث الثاني: الإظهار والإضمار في الفضلات

المطلب الأول: الإظهار والإضمار في (المفعول به)

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النمل: ٥٦][٤٠].

اختلفت الآيتان في المفعول به إظهاراً وإضماراً، ذلك أن التعبير في آية (الأعراف) ورد بإضمار المفعول به (أخرجوهم)، أما في آية (النمل) فورد بإظهاره (آل لوط).

والسر في ذلك – والله أعلم– إن نبي الله لوط (عليه السلام) لما زاد في تعنيفهم، وتعريفهم بأنهم يأتون الفاحشة وهم على علم بها، بل مع مشاهدة بعضهم بعضاً، من دون استحياء واستخفاء، زادوا في مقابلة ذلك التنصيصَ على (الآل)؛ لأن قولهم (آل لوط) أنصُ في إخراج جميع من للوط (عليه السلام) من ذويه وأهله منَ (الهاء) في قولهم (أخرجوهم) فالتنصيص على (آل لوط) زيد في مقابلة تعريف قوم لوط بأعمالهم؛ لأنهم كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء[٤١].

ولكنه لم يذكر سبب الإظهار الحقيقي فيما يبدو لي، إذ إن من المعلوم أن (الهاء) في أية (الأعراف) و(آل لوط) في آية (النمل) لم يشملا إلاّ أهل لوط من ذويه وأهل بيته، وذلك أنهم عندما جاءهم العذاب لم يُوجد في هذه القرية إلاّ بيتٌ واحد ممن أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام وهو بيت نبي الله لوط (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٢–٣٧]، وبذلك نعلم أن الإخراج من القرية كان للفئة نفسها، ولكن الذي يبدو لي أن نبي الله لوطاً (عليه السلام) كان يكرر النهي عليهم في إتيانهم الرجال شهوة من دون النساء، ولكنه في هذه المرة، زاد في تعنيفهم بتعريفهم بشنيع فعلهم هذا، وإنهم كانوا يأتونه من دون استخفاء، قال تعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النمل : ٥٤– ٥٧]، فكان ذلك أقبح في المرتكب، لذلك جاء الاسم مظهراً في جوابهم قصداً للإهانة والتحقير، ومعلوم أن من أسباب وقوع الاسم الظاهر موقع

المضمر هو قصد الإهانة والتحقير[٤٢]. لذا جاء جوابهم بصيغة الإظهار تحقيراً لنبي الله لوط (عليه السلام) وآلهِ من ذويه وأهل بيته، والله أعلم .

كذلك من أمثلة الإظهار والإضمار في المفعول به، قوله تعالى :﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه : ٤٧]، وقوله تعالى :﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء : ١٦] [٤٣].

وسبب ذلك – والله أعلم – جاء مبنياً على كون الضمير أعرف المعارف، وهذا معلوم لكونه لا يُضمر إلاّ وقد عُرِّف، لذا لا اشتراك فيه لتعينه بما يعود إليه[٤٤] .

وإذا نظرنا في سياق قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون في سورة (طه) نجد أن المفعول به في قوله تعالى ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾ العائد على فرعون لم يُضمر إلاّ بعد تعريفٍ، إذ ذُكر لفظ فرعون صريحاً (ظاهراً) قبل ذلك في قوله تعالى:﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه : ٢٤]، لذلك لما ذُكر فرعون ثانية أُضمر لكونه لا اشتراك فيه بما يعود إليه وهو فرعون المذكور في الآية (٢٤)

أما آية (الشعراء) فلم يُذكر فيها لفظ فرعون قبل هذه الآية، لذلك لما ذُكر جاء صريحاً (ظاهراً) ولم يُضمر؛ لأنه لو أُضمر لوجب أن يعود على متقدم قبله، وليس هناك ما يعود عليه، لذلك أُظهر صريحاً .

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن أمر موسى (عليه السلام) إنما ورد قبل آية (الشعراء:١٦)، بإتيانه قوم فرعون، قال تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الشعراء : ١٠ –١١]، فلو أُضمر المفعول به في قوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ ﴾ وقيل : فأتياه، لظن ظانٌّ أن الهاء عائدة على القوم لا على فرعون، لذلك لم يكن بدٌّ من الإفصاح باسم فرعون دون إضماره [٤٥]، والله أعلم .

المطلب الثاني: الإظهار والإضمار في (الاسم المجرور بحرف الجر)

قال تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ٨]، وقال تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ١٠]...[٤٦].

جاء التعبير في الآية الأولى بالضمير (الكاف) في قوله تعالى (فيكم) أما في الآية الثانية، فجاء بالاسم الصريح المظهر، وهو قوله تعالى (مؤمن) أن الآيتين لم تكونا إخباراً عن فئة واحدة.

يرى الكرماني(ت٥٥٠هـ) في أحد رأييه، أن الأولى كانت في المشركين، وأما الثانية ففي اليهود، قال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ

عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة: ٧- ١٠]، فالسياق عن المشركين وعن نقضهم العهود وعدم الالتزام بها، أما الثانية ففي اليهود الذي لا يراعون في مؤمن إلاّ ولا ذمة أي قرابة وعهد، لذلك جاء التعبير في الأولى بالضمير أما في الثانية فجاء بالاسم المظهر[٤٧]، وتابعه في ذلك الفيروز آبادي[٤٨]، وهذا رأي قال به عددٌ من العلماء قبل الكرماني وبعده، كالنحاس والبيضاوي والقرطبي[٤٩]، واستدلوا على صحة رأيهم بقوله تعالى: ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾، يعني اليهود"[٥٠].

أما الرأي الآخر فيرى أن الآيتين في المشركين، ولكنهما ليست تكراراً محضاً، فالأولى وقعت جزءاً للشرط في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [التوبة: ٨]، أي الكفار، أما الثانية فإنها أُعيدت تقبيحاً لحالهم[٥١]، ونقل هذا الرأي الفيروزآبادي والتزمه الشيخ زكريا الأنصاري[٥٢].

والذي يبدو أن الرأي الثاني أرجح للأسباب الآتية:

١- لم يرد في نزول الآيات، أن الأولى نزلت في المشركين والثانية نزلت في اليهود.

٢- إن (الإل) يأتي بمعنى الحلف والعهد ويأتي بمعنى القرابة، قال الزجاج "قيل الإل: القرابة، وقيل الإل: الحلف، وقيل الإل: المعهد"[٥٣]، وقال الراغب "الإل: كل حالة ظاهرة من عهد حلفٍ وقرابة"[٥٤]، والقرابة أولى من العهد هنا؛ لأن العهد ذكر صريحاً في الآية في قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ ﴾ [التوبة: ٧]، كذلك فإن (الإل) إذا حمل على العهد سيبتعد عما تفيده الذمة من معنى، وذلك لأن الذمة "ما يُمتُّ به من الأواصر من صحبة وخلة وحوار"[٥٥]، وهي بذلك أقرب إلى معنى القرابة من العهد، لذلك اقترنت معه بالعطف في قوله تعالى (إلاً ولا ذمة) فإذا كان (الإل) يعني القرابة، علمنا أن الآية ليست في اليهود لأنهم لا تربطهم قرابة بالعرب المخاطَبين في الآية، بل هي في المشركين الذي كانت تربطهم في المسلمين أنساب وقرابات.

أما سبب الإضمار في الآية الأولى والإظهار في الآية الثانية، فالذي يبدو أن الآية الأولى جاءت جواباً للشرط في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [التوبة: ٨]، وجواب الشرط عادة لا يحتمل التفصيل والإسهاب، بل يفيد فائدة تامة للمخاطب، أما الآية الثانية فجاءت بصيغة الإظهار عن المشركين بأنهم لا يراعون في المسلمين قرابةً ولا صلة ولا صحبة، فهي

أعم معنىً وأوسع دلالةً من جملة جواب الشرط؛ وذلك لأن إطلاق الحكم عن التقييد بشرط ﴿ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾، أفاد أن عدم مراعاة القرابة والصحبة في المسلمين هو خُلقٌ متأصل فيهم(٥٦)، متجذرٌ في نفوسهم، لذلك جاء الإضمار مع التضييق في المعنى وجاء الإظهار مع التوسعة والإطلاق، فجاء كل على ما يناسب، والله أعلم بالصواب.

كذلك من أمثلة الإظهار والإضمار في الاسم المجرور قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة : ١٢٩]، وقوله تعالى :﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٦٤]، وقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة : ٢](٥٧) .

اختلفت الآيات الثلاث في الاسم المجرور إضماراً وإظهاراً، فقال تعالى في آيتي (البقرة وآل عمران) : فيهم، على الإضمار، وقال في آية (الجمعة) : في الأميين، على الإظهار .

وسرُّ هذا الاختلاف – والله أعلم – أننا إذا نظرنا في سياق آيتي (البقرة وآل عمران) نجد أن الضمير في قوله تعالى ﴿ فِيهِمْ ﴾ ذُكر مضمراً لكونه عائداً على متقدم مذكور بصيغة الإظهار، قال تعالى في سورة (البقرة) :﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة ١٢٨ – ١٢٩]، فعاد الضمير في قوله تعالى ﴿ فِيهِمْ ﴾، على الأمة المسلمة التي هي من ذرية إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، ولو قيل : وابعث في الأمة المسلمة رسولاً ....، لاضطرب نظم الكلام من جانب، ولظن ظانٌّ أن الأمة التي بُعث فيها الرسول هي غير الأمة التي من ذرية إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، لذلك جيء بالضمير دون الاسم الصريح لأن الضمير لا تشترك فيه دلالتان لتعيينه بما يعود عليه من الاسم المصرح به أولاً .

كذا الحال في سياق آية (آل عمران) فإن الضمير في قوله تعالى ﴿ فِيهِمْ ﴾ عائدٌ على متقدم مصرحٍ به، قال تعالى :﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٦٤]، ولو قيل : لقد منَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعث في المؤمنين ....، لأختل نظم

الكلام، لأن العربية لغة إيجاز، لذلك أُضمر الاسم المجرور لكونه عائداً على اسم مصرح به وهو قوله تعالى ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فلما أُضمر كان أخصَّ في الدلالة على ما عاد عليه .

أما آية (الجمعة) فقد جاء الاسم المجرور فيها صريحاً، ولم يُضمر؛ لأنه لم يُصرح باسم مَن بُعث فيهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل ذكر ذلك الاسم الصريح، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة : ٢]، ولو أُضمر لم يكن هناك ما يعود عليه، ولم يُعرف من هم المبعوث فيهم الرسول، لذلك جاء كلٌّ على ما يناسب، والله أعلم .

المطلب الثالث: الإظهار والإضمار في (المضاف إليه)

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ﴾ [سبأ: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ ﴾ [الإسراء: ٥٦].

اختلف التعبيران في لفظ الجلالة إضماراً وإظهاراً، فورد التعبير في سورة (سبأ) بالإظهار في حين أنه ورد في سورة (الإسراء) بالإضمار،

إن سبب الإضمار في آية (الإسراء) هو ورود اسم الجلالة مضمراً في مواضع متعددة قبل ذلك، أما في آية (سبأ) فإنه لم يذكر إلاّ في ثلاثة مواضع، لذلك جاء بصيغة الإظهار، جاء في درة التنزيل "والجواب أن يقال إنما اختير الإضمار في سورة بني إسرائيل لقوة الذكر قبل، إلا ترى أنه يكون في عشرة مواضع مضمراً ومظهراً لقوله: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٤] فربكم واحد، وفي أعلم ضميره، وقوله (أو أن يشاء) فيه ضمير فاعل، (وما أرسلنا) النون والألف ذكر له تعالى، (وربك أعلم) اسمان (ولقد فضلنا) قوله نا اسمه، وكذلك (آتينا داود زبورا) فكان الإضمار تلو الإضمارات أولى بهذا المكان، فلذلك قال: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ وأما في سورة (سبأ) فإن الذي تقدمه: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١]، فالذكر تقدم في ثلاثة مواضع وهناك في أكثر من عشرة مواضع، فحسن الإظهار هنا وقوي الإضمار هناك فلذلك اختلفا"[٥٨].

ومع روعة ما قدمه العلماء إلاّ إنني أرى ملحظاً بيانياً آخر، وهو إن الإظهار في سورة (سبأ) جاء تفخيماً وتعظيماً لله سبحانه وتعالى، وذلك لكون السياق يقتضي ذلك، فالخطاب يدل على تحقير شأن الآلهة التي اتخذوها من دون الله، وأنه لا يقع في ملكها أدنى شيء، فلا تملك شيئاً في السماء ولا في الأرض، بل كلُّ شيء بقدرته سبحانه وتعالى، وإن المتفرد بالإيجاد وهو

أحق بالعبادة، وفي ذلك كله تعجيز لهم ولآلهتهم، لذلك أظهر الله جل وعلا اسمه تعظيماً له ولملكه الذي خلقه، أما آية (الإسراء) فإنها خطاب للمشركين عندما ابتليت قريش بقحط، فشكوا إلى الرسول الكريم (ﷺ) أمرهم، فأنزل الله ذلك وخاطبهم بأن الذين زعمتموهم آلهةً لا يستطيعون كشف القحط عنكم وتحويل الفقر إلى غنى والسقم إلى صحة[٥٩]، فالتعجيز هنا أقل من سابقه لذلك جيء بلفظ الجلالة مضمراً والله أعلم.

ومن أمثلة الإظهار والإضمار في المضاف إليه – أيضاً – قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٧١]...[٦٠].

اختلفت الآيتان في المضاف إليه إضماراً وإظهاراً، إذ جاء المضاف إليه في آية (الأنعام) مضمراً، في حين أنه جاء مظهراً في آية (الزمر).

لم يكن لهاتين الآيتين نصيب عند من كتب في توجيه المتشابه اللفظي– فيما وقع بين يدي من مصادر –ولكن يمكن للناظر في الآيتين أن يدرك ملحظاً بيانياً، يكتشف من خلاله سبب الإظهار والإضمار فيها.

يبدو أن سر الإظهار في آية (الزمر) هو التنبيه على قصد العموم[٦١]، ذلك أن السورة تضمنت شرحاً لأحوال أهل القيامة على سبيل الإجمال بقوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الزمر: ٧٠]، ثم بعد ذلك بيانا لأحوال أهل العذاب بقوله تعالى:﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١]، ثم بياناً لأحوال أهل الثواب بقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣][٦٢].

فالسياق في هذه الآية– أعني (الزمر: ٧١)– سياق عام في كل كافر يساق إلى جهنم، وليس مختصاً بقوم معين، بدلالة قوله تعالى (زمراً)، أي أفواجا وجماعات، بعضها في أثر بعض[٦٣]، وهذه الأمم لم يكن لها نبي واحد كما هو معلم بل لها أنبياء نزلت عليهم كتب سماوية يتلونها على هذه الأمم وينذرونهم لقاء يومهم هذا.

بذلك نعلم أن قوله تعالى (آيات بكم) الواردة في سورة (الزمر) على لسان خزنة النار عام يشمل كل الكتب المنزلة على أنبيائه[٦٤]، لذلك جاء الخطاب بقولهم (آيات ربكم) تنبيهاً على قصد العموم، أي عموم الكتب المنزلة على أنبيائه ورسله (صلوات الله عليهم)،ولم يقولوا (آياته)؛ لأن الإضمار – كما يرى العلماء – لايعطي عموماً كالإظهار .

أما آية(الأنعام) فالخطاب فيها مختلف عن خطاب آية (الزمر) التي كان الخطاب فيها من خزنة النار لمن فيها؛ لأنه من الله سبحانه وتعالى لخلقه من الإنس والجن، قال تعالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾، قال الطبري " وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركي الإنس والجن، يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ: يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ....." [٦٥]، لذلك جاءت بصيغة الإضمار قصداً للتخصيص، أي تخصيص تلك الآيات بأنها هي المنجية لمن آمن بها واتبع ما فيها؛ لأن إتباعها يوجب دخولهم الجنة، وإتباع غيرها يوجب دخولهم النار، فالإضمار أفاد تخصيص تلك الآيات بأن إتباعها أو عدمه هو ما يؤول إليه مصيرهم في الآخرة .

كذلك من الآيات التي اختلفت في المضاف إليه إضماراً، إظهاراً قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣، يوسف: ٣٨، غافر: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٠، النمل: ٧٣].

لم تكن هذه الآيات بمنأى عن علماء المتشابه اللفظي، فقد طرقوها في أسفارهم والتمسوا لها توجيهاً بيانياً راجعاً إلى مشاكلة الآية لما قبلها، فذكر لنا الخطيب الاسكافي أنّ كلاً من الإظهار والإضمار جائز، إلاّ أن الإضمار يحمل على قرب الذكر والإظهار يحمل على تعظيم الأمر[٦٦]، إلاّ إنه لم يتحدث إلاّ عن آيتي (غافر ويونس) فذكر أن قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧ ﴾، في سورة (غافر) محمول على الآيات التي جاءت قبله، وهي قوله تعالى: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [غافر: ٥٩]، فأظهر ذكر (الناس) في الآية للمشاكلة والملاءمة مع الآيات التي قبلها، وليس الأمر كذلك في آية (يونس) فإن الكلام مبني على الإضمار في الآيات التي قبلها، إذ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ [يونس: ٥٢]، وقال أيضاً: ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [يونس: ٥٣]، وقال أيضاً: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥٥]، فأضمر ما في آية (يونس) للمشاكلة والملاءمة مع هذه الآيات[٦٧]، وتابعه في ذلك علماء المتشابه اللفظي[٦٨] .

يبدو لي – بعد الاستقراء– أن المسألة معتمدة على سياق الخطاب، وأن الإظهار والإضمار يكونان تبعاً للخطاب الوارد في النص، وذلك إن الإضمار يكون في سياق خطاب المشركين تحقيراً لهم وتقليلاً من شانهم، أنظر إلى الآيات في سورة (يونس) وكيف أن الخطاب لم يكن لقوم مؤمنين، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس: ٥٩–٦٠]، فتجد فيه من التعنيف بهم وكيف أنهم حللوا وحرموا، لذلك قال تعالى (أكثرهم لا يشكرون) يعني الكفار[٦٩]، كذلك قوله تعالى في سورة (النمل): ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [النمل: ٦٩–٧٤]، فترى أن السياق في المشركين من منكري البعث، لذلك لم يصرح الله تبارك وتعالى باسمهم ظاهراً وذلك تحقيراً لهم وازدراءً بهم.

أما الآيات الأخر فإنها لم تكن في سياق المشركين وإنها جاءت في معرض الإخبار قصداً للموعظة، لذا جاء الاسم (الناس) صريحاً قصداً للعموم، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣–٢٤٤]، وكيف ترى أن السياق في خطاب المؤمنين من أجل التنبيه على مسألة الحياة والموت وإنها بيد الله سبحانه وتعالى؛ لذا ضرب لهم مثلاً قوماً خرجوا من ديارهم هروباً من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم[٧٠]، والقصد من ذلك تنبيه المسلمين إلى ذلك بقصد الشكر، والله أعلم .

كذلك آية (غافر) فإنها لم تأتِ إلاّ للموعظة في سياق الإخبار، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر: ٦١]، وأنت ترى أن الآية في معرض ذكر فضل الله تعالى على عباده، وأنها لم تختص بقوم دون قوم لذلك أظهر الله الاسم فيها بقصد التنبيه على العموم والله أعلم.

الخاتمة

يمكن إيجاز أبرز النتائج التي توصل إليها البحث وهي :

١- إن البحث في الآيات المتشابهات يظهر لنا جانباً من علو شأن إعجاز القرآن الكريم ودقة نظمه وسمو أسلوبه .

٢- أظهرت الدراسة أن النظم القرآني يمثل دوراً فاعلاً في التقاط خيوط الدلالة البيانية، في الآيات المتشابهات؛ وذلك لأن الآيات التي كانت ميدان البحث ليس لها أن تُدرس بمنأى عن أجزاء الكلام، لذلك وجدناها تتخذ من النظم القرآني مساراً لها يمنعها من الخروج عن الدلالات البيانية المستعملة فيها.

٣- ارتبطت دراسة الإظهار والإضمار ارتباطاً وثيقاً بمقام حال الآيات؛ لأن التقاط اللَّمحة البيانية يتطلَّب مراعاة قرائن الأحوال، واختلاف الأحوال، وموضوع الخطاب، وأسباب النزول، وكل ما يحيط بالنص من ظروف وأحداث ملابسة له .

٤- يعد التناسب اللفظي والمعنوي بين آيات المتشابه اللفظي وسائل ارتكز عليها البحث في إيضاح جوانب من بلاغة الإظهار والإضمار في تلك الآيات .

٥- يعد التنبيه على علة الحكم أحد أسباب وضع الظاهر موضع المضمر، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾، للتنبيه على الكذب لكونه علةً للنفاق الذي اتصفوا به، وأن النفاق لحقهم بسبب كذبهم على الرسول عندما شهدوا برسالته .

٦- كثيراً ما يأتي الإضمار تحقيراً للمُخْبَر عنه، كقوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [الأعراف: ١٨٧، النازعات :٤٢]، إذا جاء المسند إليه (الفاعل) مضمراً؛ لكونه دالاً على جماعة من اليهود، سألوا الرسول الكريم عن الساعة امتحاناً له وإنكاراً لدينه؛ لذلك أضمر اسمهم تحقيراً لهم .

٧- كما يدل الإضمار على التحقير، فإن الظاهر أيضاً يُعدل إليه قصداً للإهانة والتحقير، كقوله تعالى ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ ﴾ [النمل: ٥٦]، إذ عُدل إلى الإظهار في المفعول به (آل لوط) تحقيراً وإهانةً لنبي الله لوط (عليه السلام) وآله من ذويه وأهل بيته .

٨- لا يُضمر أيُّ اسم إلاّ إذا صُرِّح به قبل ذلك؛ لأنه إن لم يكن له ذكرٌ قبل ذلك وأُضمر لم يُعلم علامَ يعود .

٩- كثيراً ما نجد الاسم يأتي ظاهراً وموضعه الإضمار، وسر ذلك أنه قدٌ كر قبله اسمٌ ما، ولو أُضمر لظن ظانٌّ أن الضمير سيعود على ذلك الاسم، وهو غير مراد .

هذه هي أهم النتائج الرئيسة، على أن هناك نتائج فرعية ظهرت في أثناء البحث، غير أني اكتفيت بما حسبته مهماً دفعاً للإطالة .

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أحمد الله الذي وفق وأعان، وأسأله من فضله الكريم أن يجعل عملي هذا خالصاً لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين

الهوامش

(١) التعبير القرآني: ٢٢.

(٢) دليل المتشابهات اللفظية: ١٨١ .

(٣) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٧٠٧، واللباب في علوم الكتاب: ١ / ٤٩٤ .

(٤) دليل المتشابهات اللفظية: ١٤٠.

(٥) ينظر البرهان في علوم القرآن: ٢/٢٩٠-٢٩٨.

(٦) المصدر نفسه: ٢/٢٩٥.

(٧) إرشاد العقل السليم: ٨/٢٥١.

(٨) ينظر المثل السائر: ٢/١٥٧، والبرهان في علوم القرآن: ٢/٢٩٤.

(٩) ينظر المثل السائر: ٢/٥٢.

(١٠) ينظر تفسير القرآن العظيم: ٤/٤٧٣.

(١١) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٧٠٧ ، واللباب في علوم الكتاب: ١ / ٤٩٤ .

(١٢) البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٢٤.

(١٣) ينظر معاني النحو: ١/ ٥٧ .

(١٤) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(١٥) متشابه القرآن العظيم: ١٧٤، ودليل المتشابهات اللفظية: ٦٠.

(١٦) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٤٤-٤٥، وينظر: ملاك التأويل: ١/٢٩٨-٢٩٩.

(١٧) جامع البيان: ٣/٢٥٧.

(١٨) ينظر معاني القرآن واعرابه: ١/٣٤٣.

(١٩) ينظر اعراب القرآن: ١/٣٢٩.

(٢٠) نظر لباب التأويل: ١/٢٩٩.

(٢١) ينظر مفاتيح الغيب: ٢١/١٦٦، ٨/٣٥.

(٢٢) روح المعاني: ١٦/٦٦.

(٢٣) المفردات الفاظ القرآن مادة (عتا): ٥٤٦.

(٢٤) فقه اللغة وسر العربية: ١٣١.

(٢٥) ينظر معاني القرآن وإعرابه: ٣/٢٦٢، وأضواء البيان: ٣/٣٩٦.

(٢٦) ينظر روح المعاني: ١٦/١٦.
(٢٧) مفردات الفاظ القرآن مادة (عسى): ٥٦٧.
(٢٨) ينظر روح المعاني: ١٦/١٦.
(٢٩) مفردات ألفاظ القرآن مادة (بلغ): ١٤٤.
(٣٠) ينظر إرشاد العقل السليم: ٢٥٦/٥، وروح المعاني: ١٦/١٦، وأضواء البيان: ١٩٩/١.
(٣١) متشابه القرآن العظيم: ١٩١-١٩٢، ودليل التشابهات اللفظية: ١٢٩.
(٣٢) أسباب النزول: ١٥٣، وينظر جامع البيان: ١٣٧/٩، والمحرر الوجيز: ٤٨٤/٢، والبحر المحيط: ٤٣١/٤.
(٣٣) أسباب النزول: ١٥٣، وينظر المحرر الوجيز: ٤٨٤/٢، والبحر المحيط: ٤٣١/٤.
(٣٤) البحر المحيط: ٤١٦/٨، وينظر المحرر الوجيز: ٤٣٥/٥.
(٣٥) ينظر البرهان في علوم القرآن: ١٦/٤.
(٣٦) ينظر الكشاف: ٥٧١/٣، وروح المعاني: ٩٢/٢٢.
(٣٧) ينظر البرهان في علوم القرآن: ٢٩٦/٢.
(٣٨) دليل المتشابهات اللفظية: ٢٠٨.
(٣٩) درة التنزيل: ١٦٥، وينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٩ و بصائر ذوي التمييز: ٣٢٠/١.
(٤٠) متشبهات القرآن: ٥٥-٥٦، ومتشابه القرآن العظيم: ١٨٨، ودليل المتشابهات: ١٢٢.
(٤١) ينظر ملاك التأويل: ٥٤٩/١-٥٥٠، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم: ١٣٥.
(٤٢) ينظر البرهان في علوم القرآن: ٢٩١/٢.
(٤٣) ملاك التأويل: ٢/ ٨١٩ .
(٤٤) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٧٠٧ ، واللباب في علوم الكتاب: ١ / ٤٩٤ .
(٤٥) ينظر ملاك التأويل: ٢/ ٨٢١ .
(٤٦) دليل المتشابهات اللفظي: ١٣٩.
(٤٧) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٨٧-٨٨.
(٤٨) ينظر بصائر ذوي التمييز: ٢٣١/١.
(٤٩) ينظر إعراب القرآن: ٦/٢، وأنوار التنزيل: ١٣٣/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٨٣/٨.
(٥٠) اعراب القرآن: ٦/٢.
(٥١) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٨٨.
(٥٢) ينظر بصائر ذوي التمييز: ٢٣١/١، وفتح الرحمن: ١٦٤.
(٥٣) معاني القرآن وإعرابه: ٣٥٠/٢.
(٥٤) مفردات الفاظ القرآن، مادة (إلّ): ٨١.
(٥٥) التحرير والتنوير: ٣٠/١٠.
(٥٦) ينظر التحرير والتنوير: ٣٢/١٠.

(٥٧) دليل المتشابهات اللفظية: ٣٨ .

(٥٨) درة التنزيل: ٢١٦.

(٥٩) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ١٠/١٨٠-١٨١، وفي لباب النقول إن من الإنس أناس عبدوا من الجن، فأسلم الجنيون، واستمتك الآخرون بعبادتهم، ينظر لباب النقول: ٢٠٩.

(٦٠) متشابه القرآن العظيم: ١٨٢، ودليل المتشابهات اللفظية: ١٠٣-١٠٥.

(٦١) التنبيه على قصد العموم سبب من أسباب الإظهار، ينظر البرهان في علوم: ٢٩٦/٢.

(٦٢) ينظر مفاتيح الغيب: ١٩/٢٧، والبحر المحيط: ٤٢٤/٧.

(٦٣) ينظر جامع البيان: ٣٢/٢٤، والكشاف: ١٤٩/٤، و مفاتيح الغيب: ١٩/٢٧.

(٦٤) ينظر الجامع للأحكام القرآن: ٢٨٤/١٥، والبحر المحيط: ٤٢٤/٧.

(٦٥) جامع البيان: ٨/ ٣٥ .

(٦٦) ينظر درة التنزيل: ٢٣٢ .

(٦٧) ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦٨) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٩٤-٩٥، وكشف المعاني: ٣٢٣، وبصائر ذوي التمييز: ٢٤٣/١-٢٤٤، وفتح الرحمن: ٤٩-٥٠.

(٦٩) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٦/٨.

(٧٠) ينظر المصدر نفسه: ١٥٦/٣.

المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان (د.ت).
- أسباب النزول، أبو الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم، اعتنى به الشيخ صلاح الدين العلايلي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق (د.ت).

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد المعروف بالقاضي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٤١٦هـ .
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف النحوي الأندلسي (ت٧٥٤هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن: تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٥٠هـ) تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٣٩١هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) تحقيق محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي ، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، (د٠ت).
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- التعبير القرآني: ٢٢، الدكتور فاضل صالح السامرائي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٦م-١٩٨٧م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) قدم له عبد القادر الأرناؤوط، دار الفيحاء، دمشق- سوريا، ودار السلام ، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، اعتنى به وصححه، الشيخ هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الاسكافي (ت٤٢٠هـ) دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم، الدكتور محمد بن عبد الله الصغير، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان، (د٠ت).
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري (ت٩٢٥هـ)، حققه وعلق عليه محمد علي الصابوني، عالم الكتب بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت٤٣٠هـ)، تحقيق حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٤٠٠٤م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، شيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣هـ) تحقيق الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصور- مصر، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- لباب التأويل في معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ) ، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (د.ت).
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد٨٨٠هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت – لبنان ، (د٠ت).
- متشابه القرآن العظيم، أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن أبي داود المنادى (ت٣٣٦هـ) تحقيق الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، دمنهور، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- المتشابه اللفظي في القرآن، الدكتور محمد القاضي، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الملقَّب بابن الأثير (ت٦٣٧هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
- مشتبهات القرآن، أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد محمد داود، دار المنار، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن سري الزجاج (ت٣١١هـ) شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م.
- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م .
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية– بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٠م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت٧٠٨هـ) تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.